المحاضرة الرابعة:
حركة الترجمة

أولا: تمهيد:

تعدّ الثقافة العربية- كما ذكرنا آنفا- أعظم الثقافات العالمية، وقد نالت هذه الحظوة من خلال ما خلفته من تراث ثقافي زاخر تعجّ به الآن المكتبات العالمية، ولقد شهد بهذا الفضل كبار المستشرقين، فهذا غوستاف لوبون يؤكّد أنّ العرب هم "أصحاب الفضل في معرفة القرون الوسطى لعلوم الأقدمين، وأنّ جامعات الغرب لم تعرف لها، مدة خمسة قرون، موردا علميًّا سوى مؤلفاتهم، وأنّهم هم الّذين مدّنوا أوربة مادة وعقلا وأخلاقا، وأن التاريخ لم يعرف أمة أنتجت ما أنتجوه في وقت قصير، وأنه لم يَفُقْهُمْ قوم في الابتداع الفنّي" ولم يبن العرب هذه الثقافة العظيمة من فراغ، بل اجتمعت لهم عوامل عدّة لعلّ من أبرزها على الإطلاق حركة الترجمة.

ثانيا: في مفهوم الترجمة:

أ- **لغة:** تعود كلمة ترجمة إلى الجذر (رجم) الّذي يعني الرمي بالحجارة أو هو القتل أو اللعن أو الطرد أو الهجران، أما كلمة (ترجمة) فمنهم من يرى أنّها عربية أصيلة- كما هو الحال- عند ابن فارس والجوهري وابن منظور، ومنهم من يرى أنّها مستعربة مثل الزبيري. وسواء أكانت عربية أم مستعربة فقد حملت مدلولات أخرى تبتعد عن المعنى الأصلي دون أن تنقطع صلته به تماما، فتَرْجَمَ الكلام؛ إذا فسَّره بلسان آخر. منه التَرجَمان، والجمع التراجم.

ب-**اصطلاحا:** ورد تعريف الترجمة في قاموس اللسانيات لدي بوا (Du Bois) على أنّها التعبير بلغة أخرى أو (اللغة الهدف)، كما تقصده لغة أخرى (اللغة المصدر) مع الاحتفاظ بالتكافؤات الدلالية والأسلوبية. أما مجدي وهبة فيعرف الترجمة بأنّها إعادة كتابة موضوع بلغة غير اللغة الّتي كتب بها أصلا".

ثالثا: نشأة حركة الترجمة في الثقافة العربية وتطورها:

1-الترجمة في صدر الاسلام:

ترجع البذور الأولى لفكرة الترجمة إلى عهد الرسول الكريم ﷺ الذي قال: "من تعلّم لغة قوم أمن شرّهم." وكان زيد بن ثابت ممّن تعلموا السريانية في عهده ﷺ كما تعلم كذلك الفارسية واليونانية. ويظهر أن أبا الأسود الدؤلي في عهد الخلفاء الراشدين، كان على دراية باللغة السريانية وربما اليونانية أيضا، ويكون قد استفاد من النحو اليوناني بواسطة السريانية واليونانية في تقنين العربية وتقعيدها. كما أنّ أقدم بردة[1] في الإسلام إنّما تعود إلى سنة 22هـ، وعليها نص باسم عمرو بن العاص- رضي الله عنه، وبه ثلاثة اسطر باليونانية والترجمة بالعربية تحتها.

[1] - البردة: كساء يُلتحف به.

2-الترجمة في العهد الأموي (41- 132هـ/ 662- 750م):

ارتبطت البداية الفعلية لحركة الترجمة في التراث العربي بالعصر الأموي، حيث يكاد يتفق المؤرخون العرب والأجانب على أن الأمير **خالد بن يزيد** هو أول من أمر بنقل المصنفات الإغريقية والسريانية إلى اللغة العربية وقد كانت مختارات من ميادين عدة ومختلفة نذكر منها: الطب والفلك والكيمياء. كما أن الخليفة الأموي **عمر بن عبد العزيز** هو أول خلفاء بني أمية الذي أبدى اهتماما بالترجمة، والدليل على ذلك تكليفه للطبيب اليهودي البصري **مار سرجويه** (ماسرجيس) بنقل كتاب كناش في الطب من السريانية إلى العربية **للقس الإسكندراني أهرن** ابن أعين.

3-**الترجمة في العصر العباسي (132- 656هـ/ 750- 1258م):**

نالت الترجمة في العصر العباسي الحظوة العظمى، إذ يعتبر هذا العصر الفترة الذهبية لتطور الترجمة وازدهارها سواء من حيث التنظيم أو من حيث غزارة الإنتاج وجودته.

ويعد الخليفة **أبو جعفر المنصور (136- 158هـ/ 754- 775م)** أوّل خليفة وجه جهود الدولة إلى علم الترجمة، فقد عرف باهتمامه بميدان علوم الفلك والنجوم، حيث أمر بترجمة كتاب (أصول الأركان) **لإقليدس**[2]، وكتاب (الهند والسند) لـ اراهما سدانتا[3] وكتاب (كليلة ودمنة) ذي الأصل الهندي للحكيم بَيْدَبَا[4]، ثمّ انتقل إلى مستوى اخر وهو ترجمة أمهات الكتب اليونانية ولاسيّما تلك التي كتبها فلاسفة كبار أمثال: **أرسطوطاليس** و**بطليموس**.

وأخذت حركة الترجمة في عهد **هارون الرشيد (149- 193هـ/ 766- 809م)** تزداد تطوراً مع ازدياد المؤلفات والكنوز العلمية، حيث أصبحت الترجمة من أولويات بناء الدولة العباسية القوية والمزدهرة. ولقد تجلّى اهتمام الرّشيد بالترجمة تأسيسه سنة **(157هـ/174م)** لمدرسة علمية ذائعة الصيت والمعروفة تحت اسم (بيت الحكمة) والّتي كان مقرها في بغداد. لقد آمن **هارون الرشيد** بأن الثراء الفكري يرسي دعائم الدولة المتوازنة، وهو ما دفعه إلى إرسال بعثات علمية إلى الروم لاقتناء المخطوطات اليونانية مهما كان ثمنها.

وفي عهد **الخليفة عبد الله المأمون (198- 218هـ/813- 833م)** ازدهرت حركة الترجمة ازدهارا كبيرا، وزاد بريقها وتوهجها، واتسع نطاقها، حيث أصبحت بيت الحكمة أعظم معهد ثقافي نشأ بعد المتحف الإسكندري. وقد برز في هذا العصر علماء أفذاذ، شكلوا مرجعا آمنا وقاعدة موثوقا بها نذكر منهم: الخوارزمي ويعقوب الكندي وثابت بن قرة الحراني، وما هؤلاء إلاّ شنو من محيط. فهناك بالإضافة إلى هؤلاء مترجمون عظماء، ومن أشهرهم على الإطلاق **حنين ابن إسحاق العبادي** الذي جمع في سجاياه المهارة في الطبّ، والنبوغ في الترجمة والتصنيف.

---

[2] - **وقد** قام بترجمته الحجاج بن يوسف بن مطر، في القرن 02هـ/ 08م

[3] - وهو مؤلف هندي يهتم بعلم النجوم، وقد قام بترجمته محمّد ابراهيم الفزاري.

[4] - وترجمه **عبد الله ابن القفع**

لم يقف نشاط حركة الترجمة في العصر العباسي إلى عهد هارون الرشيد وابنه المأمون، بل امتدت إلى عهد **الخليفة المتوكل (232- 247هـ/ 847- 862م)** فأغدق مع وزرائه الأموال الضخمة على المترجمين الّذين كادوا لا يبقون على كتاب دون ترجمة، حيث بلغ ما ترجمه الواحد منهم مئات الكتب والرسائل.

رابعا: عوامل تطوّر حركة الترجمة وازدهارها في العصر العباسي:

أخذت حركة الترجمة إلى العربية تتسع وتزداد قوة في العصر العباسي بفضل:

1- تشجيع الخلفاء العباسيين للعلماء ورعايتهم لهم، فقد فُتحت بغداد أمامهم وأُجزلت لهم العطايا، ونالوا ضروبا من التشريف والتشجيع بصرف النظر عن مللهم وعقائدهم.

2- جعل الترجمة ركنا من أركان سياسة الدولة، فلم يعد جهدا فرديا سرعان ما يزول بزوال الأفراد سواء حكام أو غير ذلك بل أصبح أمرا من أمور الدولة وركنا من أركانها. في حين أن حركة الترجمة في العصر الأموي كانت محاولات فردية لا تلبث أن تذبل بزوال الأفراد.

وهكذا ساهمت الترجمة في تطوير الفكر العربي الإسلامي، وذلك لأنّ المسلمين لم يكونوا مترجمين فحسب بل كانوا مبدعين ومبتكرين في مجال العلوم التي ترجموها، لقد كان للترجمة الدور الأكبر في اتساع الثقافة العربية وازدهار العلوم العقلية والتجريبية، وهو ما سمح بتحقيق نهضة علمية وحضارية لم يعرف لها التاريخ مثيلا.